الميثاق السيري في سيرة موسى عليه السلام وصدق الواقع المسرود

The Siri Charter in the Biography of Moses, peace be upon him, and the truth of the narrated reality

مريم حيدر عبدالله **Maryam Hayder Abdullah**

د. خليل شكري هياس **Dr.Khalil shokri hayass**

أستاذ **professor**

جامعة الحمدانية– كلية التربية **University Al-Hamdania - College of Education**

www.Maryam7181M@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٢/٧/٢٤	٢٠٢٢/٩/١

الكلمات المفتاحية: السيرة، الصدق، الواقعية، الميثاق السيري، سيرة موسى

Keywords: Curriculum, Honesty, Realism, code of conducat, Moses biography

الملخص

تعدُّ السيرة نوعاً من الانواع الأدبية، فهي ترصد حياة شخصية من الشخصيات المشهورة وغير المشهورة، وقد تكون السيرة ذاتية أو غيرية، ووجدت عناصر السيرة في القران الكريم في سيرة النبي موسى عليه السلام بشكل واضح، ولعلَّ من أهم هذا "الميثاق" الذي يعدُّ عنصراً شاخصاً في مختلف الأنواع السيرية، يقوم على بيان وتأكيد التطابق بين (أنا المؤلف وبين أنا السارد وبين أنا الشخصية المركزية)، والرجوع بكلّ شيء إلى الإسم الشخصي، وهو على أنواع: الميثاق السيري الإحالي، والميثاق السيري العنواني، وبالإنتقال إلى الميثاق القرائي في القرآن الكريم، نرى أنّ هذا الميثاق يكون مغايرًا تمامًا عن المواثيق القرائية الأخرى خارج النص القرآني، لأنّه يقوم على مصداقية قرائية لا خلاف عليه. كما أنَّ الصّدق من العناصر السيرية الذي له حضور واضح في القرآن الكريم.

Abstract

Biography is part of literary genres. It monitors the personal life of famous and not famous personalities. It may be biography or other. The elements of biography are found in the Holy Qur'an in the biography of the Prophet Moses, peace be upon him.

clearly . Perhaps one of the most important of this pact, which is a defining element in the various biographical genres, is based on clarifying and confirming the congruence between I am the author, I am the narrator, and I am the central character, and everything is referred to the personal name.

It is on the types of the current biographical charter and the title charter, and by moving to the reading charter in the Qur'an, we see that this charter is completely different from other reading charters outside the Qur'anic text because it is based on the credibility of reading and there is no dispute over it.Also, honesty is one of the secret elements that has a clear presence in the Holy Qur'an.

المدخل

تتكوّن السيرة من جملة من المكونات التي تعدُّ الأساس الذي يقوم عليه بناء السيرة بمختلف أنواعها، ولا يمكن أن نتصور وجود سيرة لأيّ شخص من الشخصيات المشهورة وغير المشهورة من دون وجود هذه العناصر التي تشّكلها، ويمكن تقسيمها على نوعين: الأول خاص بالسيرة يتمّثل بالميثاق وقانون التطابق، والثاني عام يتمّثل بالعناصر السردية التي تتشكل فيها عموم النصوص السردية من مثل الزمان والمكان والشخصيات والحدث وغيرها، فهذه العناصر لا يخلو منها أيُّ نموذج سيري، وقد عنيت الكثير من السير بتأكيد وإثبات عنصرين مهمين هما الزمان والمكان وتعزيز الأحداث بإثبات التاريخ وبعض الذرائع والمدونات مع المحافظة على الإسترسال وعلى السرد الأدبي الجالب للمتعة المرادة من العمل الأدبي، مّما جعل السيرة تحظى بعناية كبيرة من قبل الأدباء والكُتّاب ويقابلها الجمهور بإقبال شديد، لأنَّها أرضت حاجة العرب، إذ نقلت له الواقع الملموس في صورة قصصية سهلة عذبة كانت تقوم إلى جانب السيرة الغيرية، وبهذا الدور الأدبي وعلى مدى أجيال طويلة [١].

أما بشأن العناصر السردية الخاصة، فإننا نكون بإزاء عنصرين مهمين في السيرة هما:

أولًا: الميثاق السيري: وهذا العنصر نجده شاخصاً في مختلف الأنواع السيرية من سيرة غيرية أو ذاتية أو مذكرات أو يوميات أو اعترافات أو غيرها من الأنواع المنتمية إلى عائلة الأجناس السيرية.

ثانياً: قانون التطابق: يكون على شكلين الأول سيري ذاتي تتطابق فيها الأنوات الثلاث (أنا المؤلف مع أنا السارد مع أنا الشخصية المركزية) وقد قال بذلك فيليب لوجود[٢] وهذا القانون نجده شاخصاً في مختلف الأنواع السيرية التي تكون الذات محورها من مثل المذكرات والإعترافات واليوميات، والثاني يكون التطابق غير مكتمل بين الأطراف الثلاثة كما هو الحال في السيرة الغيرية، وسنفصِّل هذا الموضوع في المحور الأول من هذا المبحث.

ومن العناصر الخاصة أيضاً التي تنتمي إلى المرتكزات الموضوعية والواقعية في السيرة التي تسعى لأن يكون الطرح والتناول في السيرة واقعي من دون إضفاء الجانب الذاتي في السرد، وهذا المرتكز يقودنا إلى مرتكز آخر من المرتكزات الموضوعية يتّمثل بالصدق في السرد، وهي مسألة حساسة جداً ولا سيّما في السيرة الغيرية التي تكون مسرودًا من قبل

---

(١) العناصر الفنية للسيرة الذاتية سلالة السرد والبيان القصصي ونقل الواقع الملموس في صور قصصية سهلة ، www.lahodod.blogspot.com، ٢٠٢١/١٢/١.

(٢) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، فيليب لوجون:٢٢ –٢٣.

شخصية أخرى غير صاحبة السيرة، وسيكون المرتكزان الموضوعيان مدار اشتغالنا في المحور الثاني من هذا المبحث.

الميثاق السيري:

تكمن أهمية الميثاق في النصوص السيرية بشكل عام في تحديد طبيعة النص الذي يتناوله وملامح القارئ الإحتمالي الذي يوجه إليه الكاتب حديثه، لكونه – أي الميثاق– يمثّل الوسيط الذي يمكن بواسطته تحديد نوع القراءة، وتوجيه القارئ إلى هدف معين، فعندما يقرأ القارئ النص يمكن من خلاله أن يتبين أنَّ النصَّ الموجه إليه ينتمي إلى نوع أدبي خاص، هو السيرة سواءً أكانت ذاتية أم غيرية.

هناك طرق عديدة للإعلان عن هذا الميثاق، وقد تكون من خلال العنوان الغلاف، أو من خلال الإهداء، أو المقدمة، أو البيان الختامي، كما ذكره أندريه جيد، وكذلك عن طريق الأحاديث الصحفية أو الإعلامية التي تتمُّ في وقت النشر أو بعده[١]

ويعرف الميثاقُ السيري، بأنّه ذلك العقد الذي يبرمه المؤلف مع القارئ لغرض التأكيد على سيرية النص، وهناك ميثاق سيرذاتي يقوم على بيان وتأكيد التطابق بين (أنا المؤلف وبين أنا السارد وبين أنا الشخصية المركزية)، والرجوع بكلّ شيء إلى الاسم الشخصي، في حين أنّ الميثاق السير غيري لا يكون فيه هذا التطابق بين هذه الأنوات، على أن تكون الشخصية الرئيسة مختلفة عن السارد والمؤلف،[٢] ففي الأخيرة نجد التطابق حاصلًا بين أنا المؤلف وأنا السارد من دون أنا الشخصية المركزية، وفي الوقت نفسه نجد أن هناك تطابقاً بين أنا المتحدث عنه في السيرة (الشخصية المركزية)، وبين أنا صاحب السيرة. وبذلك يكون قانون التطابق هنا يشتغل في خطين متوازيين داخل السيرة الغيرية، الخط الأول يتمثّل في التطابق بين أنا المؤلف وبين أنا السارد، أما الخط الثاني فيتمثل بالتطابق الحاصل بين أنا الشخصية المركزية، وبين أنا صاحب السيرة، وهذا الخطان تربطهما آواصر العلاقة الحياتية خارج النص بين المؤلف وبين صاحب السيرة المُتّحدثُ عنه في السيرة:

---

(١) أدب السيرة الذاتية في فرنسا– المفاهيم والتطورات، فيليب لوجون، ترجمة: ضحى شيحة، مجلة الثقافة الاجنبية، بغداد، العدد ٤، ١٩٨٤ : ٢٩.

(٢) ينظر: سيرة الغائب سيرة الاني السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين، شكري المبخوت: ١٥ .

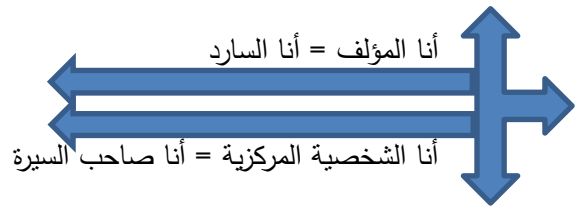

ومن هذا المخطط يتضح لنا أنَّ قانون التطابق هنا يشتغل على نحو ثنائي بين أنا المؤلف، وأنا السارد من جهة. وبين أنا الشخصية المركزية، وأنا صاحب السيرة من جهة ثانية. وهما يسيران على خطين متوازيين مع الأخذ بنظر الإعتبار تلك العلاقة القوية التي تربط بين أنا المؤلف وبين أنا صاحب السيرة المتحدَّث عنه داخل السيرة، اثنان منهما كائنان حقيقيان يعيشان خارج النص، واثنان منهما كائنان ورقيان يعيشان داخل النص(١).

وجدير بالذكر، أن الميثاق في السيرة الذاتية يتُّم من خلال إعلان الكاتب عن نفسه بطرق عديدة، وذلك إمّا عن طريق الإعلان عن نيته في كتابة سيرته الذاتية، أو عن طريق الإهداء، أو في المقّدمة، أو في الخاتمة أو بحضوره في المتن باسمه الصريح، أو تصريحه في الحوارات أو المقابلات كما ذكر سابقاً، في حين أنّ الميثاق في السيرة الغيرية يتمُّ غالباً من خلال إعلان الكاتب الصريح عن عزمه كتابة سيرة شخصية معينة.(٢) وهناك أنواع أُخرى من المواثيق غير الصريحة يمكن معرفته، من خلال اللجوء إلى مصادر أخرى تخص حياة الكاتب، إذ إنَّه ليس من الصعب التعرف على نصوص تعتمد أساساً على حياة الكاتب في كتابة السيرة، ومن خلال هذا الكلام نستطيع الحكم على نية الكاتب من دون مناقشة مدى صحة الكاتب تاريخياً وحرفياً وتكون عادة هذه الأحكام الخاصة بالنية دقيقة وحسّاسة.(٣)

وفيما يخصُّ صحة النصوص، فإنّنا من الممكن أن نشك بصحتها، وذلك لسببين الأول: إذا راودنا الشك في أنَّ شخصاً مجهولاً أو غير حقيقي هو من قام بكتابة السيرة، والثاني: إذا أصابنا الشك في أنَّ النصَّ الذي يرويه صاحب السيرة بعيد كل البعد عن الحقيقة (٤)

ولتوضيح هذا الموضوع أكثر نتطرّق إلى أنواع المواثيق السيرية، وهي تنقسم على نوعين أساسين:

---

(١) في حوار مع الأستاذ المشرف بتاريخ ٢٠٢١/١٢/١٩ الساعة الحادية عشرة صباحًا.

(٢) أدب السيرة الذاتية في فرنسا– المفاهيم والتطورات : ٢٩.

(٣) المصدر نفسه : ٢٩.

(٤) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي: ٤٤ .

أولا : الميثاق السيري النصّي، وينقسم على قسمين :

أ – الميثاق النصّي الصريح: ويتمُّ في النص السيرذاتي من خلال تطابق اسم المؤلف مع السارد مع الشخصية المركزية، وهذا هو أسهل الطرق،(١) في حين في النص السيري الغيري يتمُّ من خلال تصريح المؤلف الصريح في المتن بأنّه بصدد كتابة سيرة شخصية معينة، ومن خلال ورود اسم صاحب السيرة الصريح في النص.

ب– الميثاق النصّي القرائي: يلجأ الكاتب في السيرتين الذاتية والغيرية إلى تعيين العناوين الرئيسة أو الفرعية، كأن يضع بعد عنوان سيرته الذاتية الأساس عبارة تشير إلى سيرية النص، مثلاً (قصة حياتي) أو (سيرة ذاتية)، أو (سيرة غيرية)، كما يلجأ أحياناً إلى جعل الراوي يتصرّف بخصوص القارئ كما لو كان هو المؤلف حتى وإن لم يذكر اسمه بصوره صريحة، فالمهم ألّا يرتاب القارئ أبدًا في وجود التطابق بين الراوي والمؤلف.(٢)

ويمكن أن يتمَّ من خلال العناوين الرئيسة التي تشير صراحة إلى ذلك من مثل عنوان (حياتي) لأحمد أمين.

ثانياً : الميثاق السيري الخارج النصّي: أي أن المؤلف لا يصرح باسمه بشكل مباشر في النص وانما بشيء يدل عليه بشكل مؤكد ولا تدع فيه مجالًا للشك، وهذا النوع لا يتم إلاّ بالرجوع إلى حياة المؤلف خارج النص حتى يتم التأكد من صحة الميثاق الذي يريد الراوي تثبيته داخل النص.(٣) وهو على أنواع:

أ – الميثاق السيري العنواني : أي أنَّ المؤلف يعمد اختيار عناوين لا تترك شكًا في أنَّ الضمير النحوي في النص يعود إلى المؤلف كما هو الحال في (حياتي) لأحمد أمين، أو (قصة تجاربي مع الحقيقة) لغاندي.(٤) أو أنَّ الضمير النحوي يعود إلى الشخص المتحدث عنه في السيرة في النماذج الخاصة بالسيرة الغيرية.

ب –الميثاق السيري الإحالي : ويتمُّ من خلال تصريحات المؤلفين في مقدمة كتبهم أو في المقالات أو في الحوارات التي تجري معهم في الوسائل المرئية وغير المرئية المتمثلة بالسمع والكتابة، على أنَّ هذا النص ينتمي إلى السيرة الذاتية للمؤلف نفسه أو إلى السيرة الغيرية لشخصية يكتب عنها المؤلف(٥).

---

(١) سيرة الغائب سيرة الاتي السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين: ١٥ .

(٢) المصدر نفسه: ١٥ .

(٣) القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب، د. خليل شكري هياس: ٤٤ .

(٤) المصدر نفسه: ٤٧ .

(٥) المصدر نفسه: ٤٤.

وهنا لابد أنَّ نشير إلى أنَّ السيرة الغيرية والذاتية تقعان في دائرة الميثاق المرجعي بوصفهما نصيين مرجعيين: إنَّهما يعودان إلى الخطاب التاريخي أو العلمي بالضبط لإدلاء بخبر حول الواقع خارج عن النص ومن ثمَّ الخضوع إلى تجربة التحقيق،(١) وهو ما يعرف بالميثاق المرجعي الذي قال به فيليب لوجون، وقد أخذ جابر عصفور منه هذا التعريف حين قال "الميثاق المرجعي إنّما هو التشابه مع الحقيقي والإقتراب منه إلى درجة تدني بالأطراف إلى حالة من الإتحاد فهذا النوع من الميثاق يحدد ضمنًا أو صراحةً".(٢) أي أنَّ الميثاق المرجعي يبنى على إشارات خارجية بها يتمُّ التأكيد على مصداقية السيرة الغيرية.

وبالإنتقال إلى الميثاق القرائي في القرآن الكريم نرى أنَّ هذا الميثاق يكون مغايراً تماماً عن المواثيق القرائية الأخرى خارج النص القرآني، لأنه يقوم على مصداقية قرائية لا خلاف عليه تتجسّد على نحو واضح وصريح في آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾،(٣) وقوله تعالى ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾،(٤) فهاتان الآيتان فيهما تصريح واضح بمصداقية كلّ ما يرد في القرآن الكريم، ومنه الميثاق السيري القرآني المعقود بين القران الكريم وبين القارئ، ولو توغلنا أكثر للبحث عن الميثاق السيري المنبثق حتماً من الميثاق القرآني العام نجد تفصيلاً مهماً يدعم الميثاق السيري على نحو يوثق من آواصر العلاقة بين القارئ وبين السيرة القرآنية على نحو يؤكد مصداقية سير الأنبياء، ومن ذلك قوله تعالى﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ (٥) ونحن نعلم –كما بّينا سابقًا – إنَّ مفردة القصة في القران الكريم وردت بمعنى السيرة لأنَّ كلَّ القصص الواردة في القران هي عبارة عن سير حقيقية للأنبياء، واذا ربطنا هذه الآية في مقدّمة سورة يوسف بالبنية الختامية في السورة المتمثلة بقوله تعالى ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾،(٦) نرى أنَّ البنيتين الاستهلالية والختامية في هذه السورة تشتغلان على نحو لا شك فيه على هذا العقد الميثاقي القرائي إذ إنَّ السورة معنية بسيرة نبّينا يوسف عليه السلام، وهذا دليل واضح

(١) القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب، د. خليل شكري هياس: ٢٥.
(٢) زمن رواية المدى، جابر عصفور: ٥٦ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١.
(٥) سورة يوسف، الآية : ٣ .
(٦) سورة يوسف، الآية : ١١١.

على أنَّ سير الأنبياء ليست مجرد قصص أو حكايات وإنّما هي سير قصد منها العبرة، وهي تصديق أو مصداق لما كان ولما حدث في حياة الأنبياء والمرسلين.(١)

يتجسد الميثاق السيري على نحو كبير وواضح فيما يتعلّق بسيرة النبي موسى عليه السلام في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، منها ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ** ﴾،(٢) هذا الميثاق جاء صريحًا يحمل اسم الشخصية المركزية في السيرة بوضوح ومن دون إرباك القارئ في البحث عن المتحدث عنه في السيرة القرآنية، إذ يظهر الميثاق هنا عندما يوضح القرآن طبيعة الموعد مع النبي موسى (عليه السلام) عندما جعل له ميقاتاً بأن ينزل عليه التوراة بعد هلاك فرعون بثلاثين يومًا.(٣) وبعد أن أخذ الله منه الميثاق يحدث الموعد بعد أربعين ليلة، ثم يرجع لقومه ويجدهم يعبدون العجل بعد كلَّ سنوات الهداية.

ولا يقتصر مثل هذا الميثاق الصريح في آية واحدة، بل تكرّر في أكثر من آية في سورة واحدة وأكثر من مرة في الآية نفسها، ونحن نعلم أن كل تكرار قرآني يوحي إلى معنى جديدٍ في ذهن القارئ يختلف عن سابقه فضلاً عن الجانب التأكيدي.

جاء مثل هذا الميثاق في آية ثانية بعد هذه الآية في قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** ﴾. (٤) الميثاق الثاني جاء على لسان قوم موسى عندما خاطبوا نبيهم أنهم لن يصدقوه ولن يعترفوا بتلك النبوة إلاّ عندما يرون الله جهراً وعلانيةً،(٥) والميثاق هنا يظهر أيضاً واضحاً من حيث التصريح باسم الشخصية المركزية، وبهذا التصريح الواضح يمكن لنا القول: إن اسم موسى شّكل في السيرة قطباً ميثاقياً صريحاً ومهماً من جهة، وأوحى منذ البداية بمحورية هذه الشخصية وبمركزيتها الذي سوف تدور حوله الأحداث الرئيسة في هذه السيرة القرآنية، وكذلك الميثاق يتجلى من خلال الإفصاح عن هذا الاسم العلم الصريح من قبل قومه.

---

(١) جاء هذا الكلام من خلال الحوار مع الاستاذ المشرف خليل شكري هياس بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥١ .

(٣) إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، الحجة الشيخ محمد السبزواري النجفي : ١٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٥٥ .

(٥) إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن : ١٤ .

لا تخلو الآيات القرآنية في سورة البقرة الخاصة بحياة النبي موسى عن مجموعة من المواثيق الأخرى منها ما جاء في قولة تعالى ﴿ **وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ** ﴾[١]: قال أبو جعفر الطبري: " وذكروا أيضا إذ آتينا موسى الكتاب والفرقان. ويعني بـ"الكتاب": التوراة، و"الفرقان": الفصل بين الحق والباطل" [٢]

جاء الميثاق مرة أخرى في سورة النساء وتشكل في ثلاث آيات واضحات لتكون ثاني سورة من مجموع السور التي ذكرت فيها مواثيق علنية لاسم نبينا موسى عليه السلام، منها قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً** ﴾.[٣] بدأت الآية الكريمة بذكر أهل الكتاب، وهم اليهود أي " يطلب منك اليهود أن تنزّل عليهم كتاباً مكتوباً من عند الله كما كانت التوراة مكتوبة في الألواح " [٤] ولعل من أبرز الشواهد التي تدعم الميثاق السيري في القرآن ورود هذا الاسم أيضاً في هذه الآية المباركة، وإذا رجعنا إلى هذه السورة المباركة نجد أنَّ اسم موسى عليه السلام كثير التداول بين المرسل/الباري عز وجل وبين المرسل إليه/ قوم النبي موسى عليه السلام، فهو الشخص الذي رافق القوم مدة ليست قليلة، وظلَّ معهم في السراء والضراء.

وجاء الميثاق أيضًا في سورة المائدة ﴿ **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾. [٥] فإذا تمعنا في هذه الآية المباركة نجد أنّها أوضح آية من مجموع الآيات التي ذكرت في القرآن فيما يتعلق بالميثاق عندما يذكر الله سبحانه وتعالى سرد القرآن لسيرة الرسل، وأنَّه كلّم موسى تكليماً، يقول السبزواري النجفي في تفسير هذه الآية، "أي بعثنا رسلاً كثيرين حدثنا عنهم من قبل أن يرسله الله إلى الناس، وأيضاً أرسلنا رسلًا كثيراً لم نقصص عليك قصصهم وكلم الله موسى تكليما من دون آلة ولا لسان".[٦]

يكون الميثاق ذا أهمية كبيرة، لأنّه يعدُّ تقنية تقوم عليها السيرة بكلّ مسمياتها ذاتية كانت أو غيرية، وهذا ما نلمسه فيما تقّدم، وفي هذه الآية الكريمة من سورة المائدة: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٣ .

(٢) تفسير الطبري المسّمى جامع البيان في تفسير القران، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: احمد محمد شاكر: ٢٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٣ .

(٤) إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن: ١٠٧ .

(٥) سورة النساء، الآية :١٦٤ .

(٦) إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن: ١٠٩ .

يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾.[١] على الرغم من أن مقام الخطاب موجه إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله) إلا أننّا نجد تذكيرًا من قبل الباري عزّ وجلّ على سبيل العبرة والموعظة بما قاله موسى عليه السلام لقومه المعاندين الذين عصوا أمر نبيهم موسى عليه السلام، ممّا اضطره إلى تذكيرهم بأنعم الله عليهم بعد كفرهم فذكر لهم أن الله سبحانه وتعالى جعل فيهم الأنبياء الذين بلغ عددهم ألف نبي في مدة لا تتجاوز ١٧٠٠ سنة كانت بين موسى وعيسى ((وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا)) أي سلاطين كطالوت وسليمان (عليهم السلام)،[٢] وفي هذا القول ميثاق صريح يؤكد الخطاب الداخلي الخاص بالنبي موسى (عليه السلام) لقومه، والخطاب هنا هو الذي يوثق الجانب السيري، ويظهر مركزية شخصية موسى عليه السلام.

جاء في سورة الأنعام اسم النبي موسى عليه السلام ٣ مرات ليؤكد وجود مواثيق أخرى داخل النص القرآني، ومنها ما جاء في قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾. [٣]

كما لا تخلو سورة الأعراف أيضاً من العديد من المواثيق السيرية القرآنية التي تخصُّ سيرة نبينا موسى (عليه السلام) ففي هذه السورة وحدها ورد اسم النبي ٢١ مرة مقترنًا بالأحداث السيرية التي رافقت هذا النبي مع قومه بني اسرائيل، منها ما جاء في الآية (١٠٣) من هذه السورة المباركة ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾.[٤] وتلته الآية الثانية ﴿ **وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾.[٥] مباشرة لتكونا آيتين متتاليتين في السورة حاملتين للميثاق السيري، وهذه السمة الغالبة في هذه السورة لما تحتويه من أحداث جرت بين النبي موسى (عليه السلام) وفرعون،.

وجاء أيضاً في قوله تعالى ﴿**قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**﴾.[٦] وقوله تعالى ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾.[٧] إنّ كثيرًا من المواثيق السيرية القرآنية في هذه السيرة تظهر في خطاب قوم النبي

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٠ .
(٢) إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن : ١٦٦ .
(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٥٤ .
(٤) سورة الأعراف، الآية : ١٠٣ .
(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٠٤ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية : ١١٥ .
(٧) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٧ .

موسى (عليه السلام) له، فهم كثيرًا ما يتداولون هذه الاسم في الأحداث التي جرت عليهم والأمور التي يستفسرونها منه، ولا سيما في قصة ذبح البقرة التي جرت فيها حوار مستفيض بين موسى عليه السلام وبين قومه، ودائمًا كان خطابهم موجه لموسى عليه السلام بالاسم، مثل قوله تعالى ﴿ **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾. [1]

ومن الشواهد الأخرى التي تؤكد ورود الميثاق القرآني مرة أخرى في سورة يونس، إذ جاء في قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ)**[2] . وقوله تعالى ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾،[3] يظهر الميثاق الأول بشكل جلي وواضح في الآيات أعلاه عند مخاطبة النبي موسى عليه السلام للسحرة وفرعون في قوله (**أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ**)، فشخصية موسى (عليه السلام) شخصية ظهرت بوضوح في كلّ الأحداث والمواقف التي كان فيها تحدٍ بينه وبين قومه (بني اسرائيل) لأنه من أولي العزم، وكل نبي من أولي العزم مرسل إلى جميع البشرية شرقها وغربها، إنسها وجنها، وموسى منهم وكانت التحديات التي واجهها كفيلة بأن يذكر اسمه مرات عديدة في القران، ولا سيّما أنّ العلاقة بينه وبين ربه كانت تصل إلى الكلام معه سبحانه وتعالى، والسبب في ذلك قومه الذين اتصفوا بنكث العهد وسرعة التقلب، وخصوصاً أن يصفهم مباشرة في هذه الآية بأنّهم قوم مفسدون، وهذا كان سببًا في ظهور الميثاق القرآني فيما يخصُّ هذه الشخصية.

كما أنّ الآيات التي يذكر فيها اسم موسى في القران الكريم كثيرة، ذلك أنّ القران الكريم يتحدّث بشكل واضح عن سير الأنبياء ويسرد حياتهم من دون تشويه القارئ، أو وضع علامات استفهامية فيها، فهي خالية من الضبابية كما في بعض النصوص السيرية الأخرى الخارجة عن إطار النص القرآني.

قال تعالى في سورة الأسراء ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا** ﴾ [4] وقوله تعالى ﴿ **وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا** ﴾. [5] وقوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي**

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٣٤ .

(٢) سورة يونس، الآية : ٨٠ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٨١ .

(٤) سورة الإسراء، الآية : ١٠١ .

(٥) سورة الإسراء، الآية : ٢ .

لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾.[١] الميثاق يتجلى في هذه الآيات في اسم موسى عندما يذكر أنه أتاه الكتاب، هنا الخطاب يحمل الاسم بصورة مباشرة ليوضح للقارئ كيف أنّ الحوار المباشر والصريح كشف عن الشخصية ووثق الميثاق السيري الموجود في الآية الكريمة

ويأتي الميثاق شاخصاً في سورة الكهف في قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** ﴾. [٢] الميثاق العلني هنا جاء في سياق الخطاب القرآني ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى** ﴾ وفي ذلك بيان واضح لهذا الحضور الميثاقي الكبير والمتعدَّد لاسم موسى عليه السلام، ولم تكن هذه الآية من سورة الكهف آخر مطاف لذكر الميثاق الاسمي فيما يخصُّ سيرة النبي موسى (عليه السلام)، بل ورد مرات عديدة في السورة ومنها أيضاً ما جاء في قوله تعالى ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾. [٣]

قال تعالى في سورة الانبياء ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ**﴾.[٤] نجد في هذ الآية المباركة أنَّ القران الكريم لم يذكر اسم موسى فقط بشكل واضح لتحديد وبيان ميثاقه السيري بل تجاوز إلى ذكر أسماء أخرى منها اسم أخيه هارون وكيف أنزل عليهم الفرقان، وهنا تمَّ ذكر نبيين من أنبياء الله تعالى بأسمائهم الصريحة في آية واحدة من غير تلميح أو اشارة عابرة، وفي ذلك إشارة واضحة إلى سمات الوضوح والدقة والواقعية في القرآن الكريم.

ونلاحظ أنَّ هذه السمات تجلّت في سورة أخرى، وهي سورة المؤمنين قال تعالى ﴿ **ثُمَّ أَرسَلنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلطَٰنٖ مُّبِينٍ** ﴾، [٥] وفي سورة الفرقان في قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا** ﴾[٦] ويلاحظ هنا أنَّ المواثيق القرآنية في هذه السور متشابهة، إذ إنَّ القرآن لم يكتفِ بذكر اسم شخصية واحدة من الشخصيات السيرية الموجودة في قصة النبي موسى (عليه السلام) بل ذكر معه أخاه هارون مّما يؤكد لنا وضوح الميثاق القرآني الموجود في السير القرآنية.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠١ .

(٢) سورة الكهف، الآية : ٦٠ .

(٣) سورة الكهف، الآية : ٦٦ .

(٤) سورة الانبياء، الآية : ٤٨ .

(٥) سورة المؤمنون، الآية : ٤٥ .

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٣٥-٣٦ .

هكذا إذن ظهر الميثاق السيري الخاص بسيرة النبي موسى عليه السلام بشكل واضح في القرآن الكريم على نحو يمكن فهمه بسهولة ورؤيته بوضوح تام، إذ يظهر الميثاق بشكل واضح في أغلب السور التي ترد فيها سيرة موسى عليه السلام، ففي سورة الأعراف يظهر اسم النبي موسى (علية السلام) (٢١) مرة، وفي سورة القصص (١٨) مرة، وفي سورة طه (١٧) مرة، وفي سورة البقرة (١٣) مرة، وفي سورة يونس (٨)، مرات، وفي سورة الشعراء (٨) مرات، وفي سورة غافر (٥) مرات، وفي سورة النساء (٣) مرات، وفي سورة المائدة (٣) مرات، وفي سورة الأنعام (٣) مرات، وفي سورة ابراهيم (٣) مرات، وفي سورة النمل (٣) مرات، وفي سورة هود (٣) مرات، وفي سورة الإسراء (٣) مرات، و(مرتين) في كلٍّ من سور الكهف والمؤمنون والأحزاب والصافات والأحقاف، و(مرة واحدة) في كل من السورة آل عمران مريم والأنبياء والحج والفرقان والعنكبوت والسجدة وفصلت والشورى والزخرف والذاريات والنجم والصف والنازعات والأعلى، كما في الجدول الآتي:

اسم السورة	عدد مرات ذكره	الآيات	اسم السورة	عدد مرات ذكره	الآيات	اسم السورة	عدد مرات ذكره	الآيات
الاعراف	٢١		اسراء	٣		السجدة	١	
القصص	١٨		ابراهيم	٣		فصلت	١	
طه	١٧		النمل	٣		الشورى	١	
البقرة	١٣		الاحزاب	٢		الزخرف	١	
يونس	٨		الصافات	٢		الذاريات	١	
شعراء	٨		الاحقاف	٢		النجم	١	
غافر	٥		كهف	٢		الصف	١	
النساء	٣		المؤمنون	٢		النازعات	١	
المائدة	٣		الحج	١		الاعلى	١	
الانعام	٣		الفرقان	١		مريم	١	
هود	٣		العنكبوت	١		الانبياء	١	
						ال عمران	١	
المجموع							١٣٦	

يتضح من هذا الذكر الكثير لاسم موسى عليه السلام في مختلف سور القرآن التي سردت لنا سيرة موسى عليه السلام قوة هذا الميثاق السيري التي لا تدع معها شكًا بأهمية هذه السيرة المباركة وما حملتها من عِبر وحِكَمٍ ربانية أراد الله بها أن ينير بها حياة البشرية من

خلال أخذ الدروس الحياتية من هذه السيرة المباركة، والسير على خطاه في التعامل مع الله من جهة ومع الناس من جهة ثانية.

الصدق والواقعية السيرية:

الصدق مع اشتقاقه ورد في القران الكريم (١٥٥) مرة، فقد ورد مصطلح الصدق (٩) مرات في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ **قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾.[١] وفي موضع آخر ورد لفظ الصدق في القران الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾[٢]

جاء في معجم لسان العرب " الصدق نقيض الكذب، صدق يصدق صدقًا وصدقا وتصداقاً، وصدّقه: قبل قوله، وصدّقه الحديث: أنبأ بالصدق "[٣] كما جاء في معجم مقاييس اللغة (صدق) " الصاد والدال والقاف أصل يدلُّ على قوة في الشيء قولًا وغيره . ومن ذلك الصدق خلاف الكذب سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له هو باطل واصب هذا من قولهم شيء صدق أي صلب ، ورمح صدق ، ويقال صدقوهم القتال ، وفي خلاف ذلك كذبوهم "[٤] وفي معجم العين " الصدق نقيض الكذب . ويقال للرجل الجواد والفرس الجواد : إنّه لذو مصدق أي صادق الحملة ، وصدقته : قلت له صدقًا ، وكذلك من الوعيد إذ أوقعتهم قلت: صدقتهم ، وهذا رجل صدق ، صاف ، بمعنى نعم الرجل هو ، وامرأة صدق ، وقوم صدق ، فاذا نعته قلت: هو الرجل الصدق ، وهي الصداقة ، وقوم صدقون ، ونساء صادقات"[٥].

إنّ الدارسين لفن السيرة يلحُّ عليهم السؤال الآتي: إلى إيّ مدى يكون كاتب السيرة صادقًا؟ وما هي العوائق التي تحول دون الصدق في السيرة؟ والإجابة عن السؤالين نجد صداها عند إحسان عباس حين يقول "الصدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل، والحقيقة الذاتية صدق نسبي مهما يخلص صاحبه في نقله على حاله، ولذلك كان الصدق في السيرة الذاتية محاولة لأمر محقق".[٦] إنّ السيرة والسرد بوجه عام فن استرجاعي استعادي يقوم على

---

(١) سورة ال عمران، الآية : ٩٥.

(٢) سورة الاحزاب، الآية : ٢٢.

(٣) لسان العرب، ج٤: ٢٤٢٠.

(٤) مقايس اللغة، ج ٣: ٣٣٩.

(٥) معجم العين، خليل بن احمد الفراهيدي، ج٥ : ٥٦.

(٦) فن السيرة: ٢٢ .

استرجاع الأحداث على وفق هيئة فنية معينة بعد الإنتقاء والتنظيم والتعديل والتغيير، وهذا يكفي ليخفي أو ينسى أو يتناسى الكاتب بعض ما جرى له، والسيرة تتبع من تجربة حقيقية، لذا فإنّها تخضع لدواعي التخييل ومنطق العمل الفني الذي يتميز بخصوصية إطاره وهويته المستقلة وهو فيض استعاري معقد،[١] إذًا فصدق الكاتب لا يعني النقل الحرفي للواقع، لأنَّ منطق العمل الفني يقتضي انتقاء الأحداث والخواطر، وعلى الرغم من أنَّ السيرة هي سرد لأحداث تاريخية واقعية، إلاّ أنَّ السارد لا يحكي كلَّ ما حدث، وإنّما يسرد فقط الجوانب الرئيسة والهامة في تلك السيرة، كما أنَّ صدق الكاتب يوجب أصالة في التعبير –وهذه ناحية فنية خالصة– فكاتب السيرة إذا عبّر عن حدث معين من خلال صورة تقليدية وتعبيرات مأثورة فأنّه لا يعكس صدق تجربته من الناحية الفنية.[٢]

الواقعية السيرية:

إنَّ القول " بتنوع الواقع المحسوس وتعدّده، بل وربما بعدم تجانسه، إنّما هو السبيل إلى إدراك قيمة الأدب السيري، أفضل من تفكير ينزع إلى أن يختزل غزارة الواقع الأدبي ويرمي إلى إنشاء نموذج مجرد"،[٣] فالنصُّ السيري مشروع قراءة، به يتمُّ تحديد هوية السيرة من دون الرجوع إلى عوامل خارجية لإثبات هذه الهوية، وهو ما يطلق عليه بالمعاهدة النصية،[٤] يقول محمد الحوراني إنَّ السيرة من الفنون الأدبية المتجذرة في التراث الإنساني، وهي سبقت الرواية في الظهور، بل إنَّ الرواية أخذت من السيرة وجهاً من وجوه السرد وبهذا تروي لسيرة شخصية إنسانية ذات أثر في محيطها،[٥] فياض فيرى أن من شروط نجاح السيرة هو الصدق.[٦]
فإيثار الصدق والصراحة هو الذي حاول جونسون أن يحقّقه في كتابه السيرة، ولأنَّ جونسون كان شخصية أدبية كبيرة ومهمة في عصره، فقد حاول كلٌّ من عاصره أن يسير على خطاه، ومنهم بوزول إلاّ أنّه فاق جونسون استاذه وفاق كلَّ من كتب السيرة في عصره في دقته المتناهية وواقعيته الفوتوغرافية، ولكنّه أضاف إلى الصدق عنصراً آخرَ وهو عنصر الحيوية

(١) أدب السيرة الذاتية: ٢٢.
(٢) ينظر: المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال: ٧٧٦ .
(٣) السيرة الذاتية، جورج ماي، ترجمة: محمد القاضي وعبدالله صوله: ١٤٤.
(٤) السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، أمل التميمي:٢٠٥ .
(٥) السيرة الذاتية الكتابة بمشروط الصدق، www.alkhaleej.ae ، ٢٠٢١/١٢/١٤ .
(٦) المصدر نفسه، ١٤ /٢٠٢١/١٢ .

والانسياب في القص،[١] وكاتب السيرة لا يستطيع أن يحافظ على روح التحري الحر إلاّ بنسبة قليلة، لأنَّ إنسان وأبطاله يشعرونه بالحب أو الكراهية أو أحاسيس أخرى مّما قد يفسد حكمه، وقد يثير عنده أحياناً عاطفة دينية أو أخلاقية، ومن السخرية أن نتصوّر أنَّ كاتب السيرة إنسانٌ محايدٌ وموضوعيٌّ بصورة كاملة.[٢]

يربط فيليب لوجون عملية الصدق والصراحة في السيرة بميثاق السيرة، إذ يقول "يكون الميثاق المرجعي، متمادياً على ميثاق السيرة على نحو يصعب الفصل بينهما تمامًا، مثل ذلك التلفظ وذات الملفوظ بضمير المتكلم"[٣] ومثله عدّ منظرو السيرة الصدق والصراحة من أهم الشروط التي يجب ان تتوفر عند كتابة السيرة بشكل وثيق، لذا كاتب السيرة يبني كل ما يكتب على أساس من الصدق، فإذا ضعف هذا العنصر أي الصدق في السيرة لم تعد تسمى سيرة.[٤] إذن فإنَّ الصدق والصراحة مُعْلَمَان من معالم ميثاق السيرة لا يضرهما ما قد يلحق بهما من تخيل أثناء البوح ، بشرط ألّا يخرج بهما ذلك عن مسارهما المحدّد لهما في سرد حياة المحكى عنه.[٥]

لكي تكون سيرة ثابتة وصالحة للتطبيق لا بدَّ أن تكون السيرة واقعية ممكنة التطبيق في حياة الناس، وهذا ما امتازت به سير الأنبياء في القران الكريم، وتتبين واقعية السيرة النبوية من خلال مجموعة من النقاط:

١- إنّ الرسل لم يكونوا يأمرون بشيء إلاّ ويفعلونه واقعاً، فكانوا من أكثر الخلق التزاماً بالتكليفات التي دعوا إليها وأعظمهم تطبيقاً لها في كل المجالات والأخلاق والمعاملات.

٢- إنَّهم ارتفعوا بأصحابهم إلى تطبيق ما دعوا إليه حتى سما بهم السمو الذي لم تعرفه البشرية في تاريخها إلاّ لماماً.[٦]

٣- التاريخية: فهي تمتاز بالصدق والتاريخ فكلُّ ذكر للرسل في القران الكريم، ممحص ومدقق من الله تعالى وثبت نسبته بطرق الإثبات المعروفة عند أهل الحديث.

---

(١) فن السيرة : ٤٠ - ٤١ .

(٢) أوجه السيرة: ٢٢ .

(٣) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الادبي: ٥٣.

(٤)) فن السيرة: ٧٤-٧٧ .

(٥) فن السيرة الذاتية في الادب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢ ، ندى محمود طه ، مصطفى الشيب، بإشراف الدكتور عادل ابو عشمة، جامعة نجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،٢٠٠٦: ١١٢.

(٦) الصدق في السيرة، www.islamstory.com ، ٢٠٢١/١٢/١٤ .

٤- الواقعية: من المميزات التي امتازت بها السير في القرآن الكريم هي واقعيتها حد التطابق خالية من الخيال والأمور غير الواقعية المعروفة عند كتاب السيرة القديمة والحديثة، ولا تعتمد على الخرافات والمجازفات التي تراها في قصص الملوك والحكام.

٥- شمولها: امتازت السيرة في القرآن الكريم بأنّها شاملة بكل ما فيها

٦- قابلة للتطبيق: فهي ليست سيرة خارقة للدرجة التي يصعب التطبيق ما فيها من مبادئ وأخلاق بل هي سهلة يسيرة التطبيق يمكن لكل إنسان أن يتخلّق بها.(١)

٧- المثالية والوضوح في جميع مراحلها: وهذا لا يوجد في غير سير القران الكريم بعيداً عن العلو فقد كان الأنبياء مثاليون وكاملون في سيرهم وفي جميع جوانب حياتهم الإجتماعية والشخصية.

٨- الدليل العلمي على الصدق والنبوة، كما أنَّها ربانية المصدر أي أنّه مرسل من قبل الله سبحانه وتعالى.

٩- الثبوت والصحة: فقد جاء ذكر بعض جوانبها في القرآن الكريم كحياته ودعوته ونزول الوحي عليه وكلامه مع الله.(٢)

لا شك في أنَّ القران صادق في قصصه وتفاصيله وما ورد فيه من معاجز الأنبياء وسيرهم، حاله حال بقية الكتب السماوية في أنَّها منزلة من الله سبحان وتعالى، ومنزهة من الأخطاء لأنَّه من قبله تعالى، وممّا يؤكد مصداقية القرآن وصدقه في طرح مواضيع شتّى من قصص وسير وحتى أحكام وقوانين، قوله تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا** ﴾ (٣) وقوله تعالى في حفظ ما يرد في التنزيل بشكل عام بما فيه من القصص والسير والأحكام والقوانين ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾،(٤) ولقد أولى اللهُ – تبارك وتعالى – كلامَه كلَّ عناية وتقدير في العالم السماوي، وذلك بجعله مكتوباً في لوح محفوظ، فلا يطلع على غيبه أحداً إلاَّ من ارتضى، وهنا نشير أيضاً إلى أنَّ الكتب السماوية السابقة موازية للقرآن في طرح كل المواضيع، ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ**

(١) خصائص السيرة النبوية، www.mawdoo3.com ، ٢٠٢١/١٢/١٤.

(٢) المصدر نفسه، ٢٠٢١/١٢/١٤.

(٣) سورة الاسراء، الآية : ١٢.

(٤) سورة الحجر، الآية : ٩.

يُؤْمِنُونَ ﴾. [١] وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنَّ الكتب السابقة للقرآن الكريم نزّل الله فيه تفصيل كل شيء.

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[٢] فالقرآن العظيم مسجل في أم الكتاب، ومكنون في لوح محفوظ، فهو مصون في السماء عن كل ما يشوب الشيء ولا يليق به إلاّ الكمال، ويقول أبو مسعود "وفي سبكِ الجملتين مِنَ الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى، وفي إيراد الثانية بالجملة الإسمية دلالة على دوام الحفظ"[٣] أي حفظه من التلاشي والزيادة والنقصان، وقوله تعالى في صحة ما نزل علينا ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾.[٤] أي لاشك فيه، وقوله تعالى ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾. [٥]

واذا ما نظرنا نظرة متفحصة ودقيقة في القرآن الكريم، ومنها الآيات التي تناولت قصة النبي موسى (عليه السلام)، سنجد أنَّ هذه الآيات حافلة بالأدلة والمواقف التي تؤكد صدق وواقعية ما ورد في القرآن من سير الأنبياء، وما أنزله الله على رسوله جملة وتفصلاً، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[٦] ولعلّ القراءة الفاحصة في بيان صدق القرآن وواقعيته تكمن في أنَّ آثار هذه الآية الواقعية شاخصة إلى يومنا، وتتّمثل في أنّ المكان المذكور في هذه الآية يقع في صحراء سيناء على بعد ١٥ كيلو شرق السويس في منطقة تعرف اليوم باسم " يون موسى كما قيل إنّها بجبل طور في صحراء سيناء.[٧]

وقوله تعالى ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى**

---

(١) سورة الانعام، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة الواقعة، الآية : ٧٥ - ٨٠.

(٣) نثر الورد في تفسير أبو مسعود، بحليل محمد البوكانوني: ٥ - ٦٩.

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢.

(٥) سورة يوسف، الآية : ١١١ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٦٠ .

(٧) الطور جبل من جبال الجنة، علي جاد، www.alkhaleej.com ٢٠٢٢/١/٦ .

بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.[1] إنّ القراءة الفاحصة لهذه الآية تكشف واقعية مكانية تتمثل في ذكر مكان واقعي معروف هو مصر الفرعونية، وكذلك صدق الحوار الجاري بين موسى عليه السلام وقومه وكثرة جدالهم له والتي ظهرت في أكثر من سورة قرآنية، فقد طلب قوم موسى (عليه السلام) منه أنواع الطعام التي تخرج من الأرض، ولم يكتفوا بالطعام الذي أنزل عليهم من الجنة، وهو المن والسلوى، وما ترتب على ذلك من غضب من الباري عزّ و وجلّ، فحقيقة إخراج النباتات هي حقيقة علمية ثابتة وتحدثّ عنها القرآن الكريم بكل صراحة ووضوح، فهي قصة حقيقية واقعية فكما تجري في الأرض الواقع فإنَّ القرآن الكريم يتناوله كما هي من دون تغير أو تحريف.

لم تتوقف حقيقة السيرة القرآنية عند هذه النماذج حسب، بل جاء في السورة نفسها آيات أخرى تدلُّ على حقيقة وصدق السيرة القرآنية، ومنها قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[2] إن الطور هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه، إذ كان بنوا اسرائيل تحته فرفعه الله فوقهم، ويبدو أنَّه من الأهمية ما جاء ذكره في القرآن الكريم في أكثر من مكان، وقد ذكره الله تعالى في موقع آخر، إذ قال تعالى ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ** ﴾ [3] وهو يطلق عليه حالياً جبل موسى (عليه السلام)، إذ إنَّ هذا الجبل يقع في جنوب سيناء، وكان يصعد عليه النبي موسى(عليه السلام) للقاء ربه، وهذا تجلٍ آخر من تجليات الصدق القرآني المستند على الواقع، والمقترن بحدث معين.

لقد حوت قصة البقرة على العديد من الأحداث السيرية القرآنية، منها خاصة بسيرة موسى مع قومه، ومنها حادثة ذبح البقرة التي تظهر هذا الجانب الصدقي والواقعي في السيرة في قول تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا**

(١) سورة البقرة، الآية : ٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٦٣.

(٣) سورة التين، الآية : ١-٣.

كَادُوا يَفْعَلُونَ * وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [١]

يأتي الصدق السيري هنا عندما يتحدّث القرآن الكريم عن اختبار الله سبحانه وتعالى لمدى مصداقية قوم موسى وإيمانهم بالله عزّ وجلّ، فأظهرت الآيات هنا عناد بني إسرائيل وعدم إيمانهم من خلال محاججتهم غير المبررة، وتماديهم في المجادلة في ذبح البقرة التي أمرهم الله بذبحها، فالله سبحانه وتعالى لم يطلب منهم أمراً صعباً وخيالياً حتى يحاججوا ويتمادوا في الجدال، والبقرة التي تتحدثّ عنها سورة البقرة كانت موجودة معهم في أرض الواقع، كما أن الباري عزّ وجلّ لم يطلب بشيء يكون خارقًا للطبيعة الإنسانية، بل أراد حلًا لمشكلة صعبة، وبيان الحقيقة في حادث قتل وقع في القوم، عندما طلب منهم أن يضربوا جزءاً من هذه البقرة على جسد الميت ليحيا بعده، بعد عصيان قوم موسى ومجادلاتهم في عدم ذبح البقرة، أي خذوا جزءًا من البقرة التي ذبحتموها كذنبها أو فخذها أو لسانها، ثم اضربوا القتيل به فانه يحيى ويخبر بقاتله[٢]، وفي هذه الحادثة تظهر لنا جانبًا من نفسيات الشخصيات السيرية، فالسرد هنا دخل إلى أعماق الذات الإنسانية ووصفها وكشف لنا النوايا التي تخبئها الشخصيات، والقرآن لم يكتفِ بالصدق في سرد الأحداث، بل جاء مفصّلًا لهذا الحدث من دون أي ضبابية أو تشويه، ومن هنا نجد أنَّ القران يتمّيز عن كلّ الروايات والسير في الأدب العربي التي تتضمن جانباً من الخيال، فهو يتسم بالصدق اللامتناهي والواقعية في السرد.

ومن الآيات الأخرى التي تدعم هذا التوجه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾.[٣] يتجسّد الصدق السيري في هذه الآية عندما يذكر الله تعالى قول موسى لقومه بأن جعل الله فيهم الأنبياء، وهذه حقيقة جديرة بالذكر، إذ إنَّ أنبياء الله الذين أرسلهم الباري عزّ وجلّ إلى بني إسرائيل أكثر من غيرهم من الأقوام، وأعطاهم من النعم مالم ينعم بها على غيرهم من الأقوام.

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٦٧ - ٧٤.

(٢) إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن: ١٦.

(٣) سورة المائدة، الآية : ٢٠.

ويتجلّى هذا الصدق على نحو واضح أيضاً في مشهد التحدي الذي يجري بين موسى وهارون من جهة، وبين فرعون وبين قومه من جهة أخرى، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** ﴾.(١)

يكشف لنا هذا المشهد عن صدق عال في الطرح يتجسّد في هذا الحوار الدائر بين موسى (عليه السلام) وبين فرعون، ولعلّ أهم تجليات هذا الصدق يظهر في قول موسى (عليه السلام) عندما يقول: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾،(٢) ففي هذه الآية تصريح واضح عن صدق السرد والطرح فيما يتعلّق بالقرآن بشكل عام وبسيرة موسى (عليه السلام) بشكل خاص، ثمَّ يبلغ الصدق ذروته عندما يتحدّى فرعون موسى (عليه السلام) بأن يأتي بآية بينة يكشف عن صدقه في نشر دعوته الربانية فيقول الله على لسان فرعون ﴿ **قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾،(٣) ثم تتحقق هذه البينة على نحو رباني تذهل العقول والقلوب معاً تمثّل ذلك بعصا موسى التي ألقاها فإذا هي ثعبان مبين، ولعل سائل يتساءل لماذا جاء التحدي بهذه الطريقة؟ وذلك لأنَّ الله تعالى كان يتحدى كل قوم بما لديه من مواطن القوة، فلما كان السحر هو المهيمن في زمن فرعون، لذا جاءت البينة القرآنية على نحو يتناسب مع طبيعة ما كان موجوداً سابقاً. ويستمر السرد القرآني في سرد تفصيلات هذه الحادثة: ﴿ **قَالُوٓاْ أَرجِه وَأَخَاهُ وَأَرسِل فِي ٱلمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * يَأتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيم * وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرعَونَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجرًا إِن كُنَّا نَحنُ ٱلغَٰلِبِينَ * قَالَ نَعَم وَإِنَّكُم لَمِنَ ٱلمُقَرَّبِينَ * قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحنُ ٱلمُلقِينَ * قَالَ أَلقُواْ فَلَمَّآ أَلقَواْ سَحَرُوٓاْ أَعيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱستَرهَبُوهُم وَجَآءُو بِسِحرٍ عَظِيم* ۞وَأَوحَينَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَن أَلقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلقَفُ مَا يَأفِكُونَ * فَوَقَعَ ٱلحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ**

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٠٣ – ١١٠ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٠٤ – ١٠٥.

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٠٦.

وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ * وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ* قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾.[١]

في هذه الآية نجد أنَّ الصدق مغروس في فعل موسى (عليه السلام) بعد أن أجمع فرعون سحرة مصر ليتحدوا بسحرهم النبي موسى من خلال سحرهم، وأوهام الناس به من خلال رميهم لحبالهم وعصيهم حتى يتخيل الناس أنَّه أفعى حقيقية، لكنّ الصدق جاء برد عن طريق معجزة إلهية تحقق فيها عناصر من الصدق السيري ألاَّ وهو:

- التحدث عن أمر حقيقي وليس من وحي الخيال (أي صحة وقوع الأحداث)، وتعدُّ أهم عنصر في السيرة الأدبية الذاتية والغيرية على حد سواء
- إنَّ الراوي يسرد لنا هذه الأحداث في هذه القصة بأسلوب شيّق، إذ يتمُّ فيها سرد الأحداث بأسلوب سردي فيه الكثير من التشويق.

ومن الآيات التي تخلو من الشك وتبعث على صدق السيرة لدى القارئ ما جاء في سورة يونس في قوله تعالى ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ﴾. [٢] إذ إنَّ جثة فرعون أبقى الله عليه كما هي بعد غرقه ونجاته لتكون للناس آية وعبرة بينة.

ومثل هذا الأمر يتجسّد في التشخيص المكاني كم هو الحال في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا *قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا** ﴾،[٣] فالشوهد المكانية هنا شاخصة على نحو يدعم كثيراً صدقية المشهد، ومنها مجمع البحرين الذي هو ملتقى بحر الروم مع بحر فارس، وهو المكان الذي وعد فيه موسى بلقاء الخضر عليه السلام.

ويأخذ الصدق القرآني بعداً آخر نرى من الضروري أن نقف عنده لأنّه يختصُّ بالقرآن الكريم من دون غيره، يتمثّل بالصدق الممزوج بأسرار ربانية يكشف عنها السرد السيري القرآني:

---

(١) سورة الأعراف ، الآية: ١١١ – ١٢٢.

(٢) سورة يونس، الآية : ٩٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٠ – ٦٤.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقتَهَا لِتُغرِقَ أَهلَهَا لَقَد جِئتَ شَيـًٔا إمرا * قَالَ أَلَم أَقُل إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرا * قَالَ لَا تُؤَاخِذنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرهِقنِي مِن أَمرِي عُسرا * فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰما فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلتَ نَفسا زَكِيَّةَۢ بِغَيرِ نَفس لَّقَد جِئتَ شَيـًٔا نُّكرا * ۝قَالَ أَلَم أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرا *قَالَ إِن سَأَلتُكَ عَن شَيءِۭ بَعدَهَا فَلَا تُصَٰحِبنِي قَد بَلَغتَ مِن لَّدُنِّي عُذرا * فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهلَ قَريَةٍ ٱستَطعَمَآ أَهلَهَا فَأَبَواْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَو شِئتَ لَتَّخَذتَ عَلَيهِ أَجرا * قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَينِي وَبَينِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأوِيلِ مَا لَم تَستَطِع عَّلَيهِ صَبرًا ﴾ (١)

يأتي الصدق القرآني في هذه الآيات رهيناً بأسرار ربانية تبين الحكمة الربانية في تسيير الأمور المذكورة فيها، وهذا الصدق الممزوج بأحداث تفوق الواقع اليومي المعاش إلى واقع فوق تصور العقل البشري، يتجّسد في لقاء موسى (عليه السلام) بالعبد الصالح خضر عليه السلام، وكلّما قام بفعل يجد اعتراضاً من النبي موسى (عليه السلام) وعند مواجهته له يمتنع من إخباره عن حقيقة أفعاله، من خرقه للسفينة، وقتله الغلام، بغير حق، وبنائه جدار القرية، وفي النهاية بعد أن ينفذ صبر موسى عليه يخبره بأسرار قيامه بهذه الأعمال، وأنّه لم يقم بذلك من تلقاء نفسه، وإنما بأمر من الله سبحانه وتعالى((**وَمَا فَعَلتُهُۥ عَن أَمرِي ذَٰلِكَ تَأوِيلُ مَا لَم تَسطِع عَّلَيهِ صَبرا**))، وهنا يبرز ما ذهبنا إليه في مفتتح استشهادنا بهذه الآيات في أنّ الصدق القرآني يميزه ويختلف عن الصدق في النصوص الأدبية الأخرى.

ويأتي الصدق مجسدًا للوضع النفسي الصعب لأم موسى، وهي خائفة أن تفقد وليدها إذا ما سمعت السلطات بأنها ولدت مولودًا ذكرًا: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٢) تجسد هذه الآيات الوضعية القلقة لأم موسى وهي تبحث عن حلٍ يؤمن لها الحفاظ على حياة وليدها الجديد فيأتيها الحلُّ الرباني، بأن أقذفيه في البحر ونحن نتكفل بإرجاعه إليك بمشيئتنا وإرادتنا، كما يكشف هذا المشهد عن صدق وقوة في الإيمان من قبل أم موسى التي تستجيب لهذا الحل الرباني رغم قوة المغامرة وخطورة الموقف، فما كان تسليم أمرها إلى الله ليكون لولا هذه الثقة والإيمان بالله عزّ وجلّ، كما يكشف عن الخوف الذي كان يتلبسها لدرجة أنّها كادت تبوح بهذا السر لولا لطف الله تعالى بأن يجعلها تصمد أمام

(١) المصدر نفسه، الآية : ٦٥ – ٨٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧ – ١٠.

هول المشهد، ويتجلى هذا الصدق أيضاً في موقف زوجة فرعون التي دفعها الإحساس الفطري بالأُمومة إلى الطلب من فرعون بتبني الولد ليكون طفلًا لهما ذلك بوصف صفات بشرية أخرى كحنين امرأة فرعون وشعورها الداخلي بالأُمومة الفطرية، إذ نجد أنَّ صفات الأم البشرية مشتركة بين الامرأتين (أم موسى) و (امرأة فرعون)، وفي ذلك تجسيد واضح لموضوع الصدق الذي نتحدث عنه.

مثل هذا الوضع النفسي الحاصل من جراء الخوف الذي جسدتها الآيات في مشهد رمي موسى في البحر، نراه في مشهد خروج موسى من المدينة بعد أن أخذ قوم الرجل الذي قتله موسى يبحثون عنه ليقتلوه: ﴿ **وَجَآءَ رَجُل مِّن أَقصَا ٱلمَدِينَةِ يَسعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلمَلَأَ يَأتَمِرُونَ بِكَ لِيَقتُلُوكَ فَٱخرُج إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنهَا خَآئِفا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلقَآءَ مَدينَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدينَ وَجَدَ عَلَيهِ أُمَّة مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمرَأَتَينِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسقِي حَتَّىٰ يُصدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيخ كَبِير * فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ *فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلتَ إِلَيَّ مِن خَير فَقِير * فَجَآءَتهُ إِحدَىٰهُمَا تَمشِي عَلَى ٱستِحيَآء قَالَت إِنَّ أَبِي يَدعُوكَ لِيَجزِيَكَ أَجرَ مَا سَقَيتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيهِ ٱلقَصَصَ قَالَ لَا تَخَف نَجَوتَ مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالَت إِحدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱستَأجِرهُ إِنَّ خَيرَ مَنِ ٱستَأجَرتَ ٱلقَوِيُّ ٱلأَمِينُ * قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن أُنكِحَكَ إِحدَى ٱبنَتَيَّ هَٰتَينِ عَلَىٰٓ أَن تَأجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَج فَإِن أَتمَمتَ عَشرا فَمِن عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَن أَشُقَّ عَلَيكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * قَالَ ذَٰلِكَ بَينِي وَبَينَكَ أَيَّمَا ٱلأَجَلَينِ قَضَيتُ فَلَا عُدوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيل** ﴾ (١)

تقدّم هذه الآيات جانباً من سيرة موسى (عليه السلام) وهو يتجه اتجاه مدين، راجياً من الله أن يرشده إلى الطريق السوي، ولما وصل إلى ماء مدين (بئر) وجد الرعاء يسقون، وهناك امرأتان تمنعان غنمهما أن تختلط بغنم الناس وتتأخران عن السقي، فعلم منهما أنّهما خرجتا لضرورة، بسبب ضعف أبيهما وكبر سنه وعدم قدرته على سقي أغنامه، فساعدهما وسقى لهما وانصرف إلى شجرة طالباً من ربه الرزق والعون.

وجاءته إحدى هاتين الفتاتين تمشي في حياء وأخبرته بدعوة أبيها له، فذهب معها وجعلها تمشي خلفه وتدله على الطريق – وذلك من شدّة أمانته وعفته – ولما وصل إلى أبيها وحكى له قصته وسبب خروجه من مصر، بشَّره الرجل بأنّه قد نجا. وعندئذٍ قالت إحدى البنتين لأبيها : يا أبت استأجره لرعي غنمك، فهو رجل قويّ وأمين، فقال له الرجل: إنِّي أريد

(١) سورة القصص، الآية: ٢٠ – ٢٨.

أن أزوِّجك إحدى ابنتي على أن تعمل عندي في الرعي ثماني سنوات، فإذا أتممتها عشرًا فهذا تفضُّلٌ منك.

نرى الصدق ينبثق من هذه الآيات عندما خرج موسى (عليه السلام) من المدينة واتجه إلى مدين والتقى بالفتاتين وساعدهما في السقي فكون لنا هذه المجموعة من الأحداث صدقًا من ناحيتين: الأول الصدق في تقديم هذه الأحداث، إذ جاء بها القرآن مفصلاً بوضوح، الثاني الصدق في معاملة موسى (عليه السلام) في مساعدة الفتاتين، إذ إن الصدق في القرآن غير الصدق الفني في السرد السيري خارج إطار النص القرآني، فالثاني صدق فني ليس بالضرورة أن يسرد المؤلف كلَّ الأمور بصدق تام ولا يستطيع ذلك لأسباب تتعلّق بالذاكرة أحياناً وبعدم الجرأة في الطرح أحياناً أخرى لأنَّ هذا الطرح لا يخصه هو فقط، وإنما يخُّص الآخرين ويتعلّق أيضاً بأسباب خاصة بأيديولوجية المؤلف أو بتوجهاته الدينية والفكرية والمجتمعية، بينما الصدق في القرآن الكريم صدق محض لأنَّ مصدر الحكي لا يمكن الشك به نهائياً فهو كلام منزل من الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾،[1] ولا شك أنّ هذه الآيات توضح لنا خصوصية الخطاب القرآني التي يتفرد بها عن كل خطاب البشر، إنّه خطاب ربُّ الناس للناس، فهو أصدق خطاب، وأيسر خطاب، ومن ثمَّ لا ينبغي استبداله بأي خطاب آخر للبشر مهما بلغت بلاغتهم وأساليبهم، فالصدق المطلق في قول الله، لا في قول البشر وتأويلاتهم، التي قد يصيبها الخطأ، أو هوى النفس، فلم تشهد الدنيا منذ أن أنشأها الخالق – جلّ في علاه – خطاباً أرقى ولا أسمى من الخطاب القرآني لأنه خطاب الخالق للمخلوق، وخطاب المعبود للعابد، خطابٌ تجلّت فيه كلُّ معاني الكمال والدقة والتأثير.[2]

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤١ – ٤٢ .

(٢) مفهوم الخطاب الأسلامي، www.aluka.com ٢٠٢٢/١/١١ .

الخاتمة

بعد هذه الجولة في ميادين هذا البحث توصلت الدراسة إلى الآتي:

- كشفت الدراسة عن وضوح الميثاق القصصي القرآني في الكثير من الآيات التي تجاوز (١٠٠) شاهد في هذه القصة ، وقد كان الميثاق في هذه القصة صريحاً وواضحاً ومباشراً وبكثرة.

- كشفت عن صدق القصة القرآنية وواقعيتها، ومنها قصة موسى (عليه السلام)، وتجسد هذا الصدق في أحداثها وأمكنتها، فإذا ما نظرنا نظرة متفحصة ودقيقة فيها نجد أن آيات كثيرة حافلة بالأدلة والمواقف التي تؤكد صدق ما ورد في هذه القصة وواقعيتها، ولعل القراءة الفاحصة في بيان صدق هذه الآيات وواقعيتها تكمن في أن آثارها شاخصة إلى يومنا، ولاسيما في الأماكن التي شهدت أحداث حياة النبي موسى (عليه السلام) وقومه.

ثبت المصادر

التفاسير:

- إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، محمد السبزواري النجفي، ط ١، بيروت– لبنان، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٦م.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القران، ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق، احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠.
- نثر الورد في تفسير ابن مسعود، بحليل محمد البوكانوني، ١٤٣٨–٢٠١٦.

المعاجم:

- كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي(ت ١٧٥)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ– ٢٠٠٣ م

الكتب المترجمة:

- السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، فيليب لوجون، ترجمة وتقديم: عمر حلي، ط ١، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤.
- السيرة الذاتية، جورج ماي، ترجمة: محمد القاضي وعبدالله صوله، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ١٩٩٩.

الكتب العربية:

- السيرة الذاتية النسائية في الادب العربي المعاصر، امل التميمي، المركز الثقافي العربي، ط ١، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥.
- سيرة الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين، شكري المبخوت، دار الجنوب للنشر، ١٩٩٢.
- القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب، د. خليل شكري هياس، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٦.
- زمن رواية المدى، جابر عصفور، دار دمشق، ط ١، سوريا، ١٩٩٩.
- المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢.

الرسائل والاطاريح:

- فن السيرة الذاتية في الادب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢ ، ندى محمود طه ، مصطفى الشيب، بإشراف الدكتور عادل ابو عشمة، جامعة نجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،٢٠٠٦:

الدوريات:

- ادب السيرة الذاتية في فرنسا- المفاهيم والتطورات، فيليب لوجون، ترجمة: ضحى شيحة، مجلة الثقافة الاجنبية، بغداد، العدد ٤، ١٩٨٤

مواقع الانترنت:

- العناصر الفنية للسيرة الذاتية سلالة السرد والبيان القصصي ونقل الواقع الملموس في صور قصصية سهلة ، www.lahodod.blogspot.com،
- السيرة الذاتية الكتابة بمشروط الصدق، www.alkhaleej.ae ،
- الصدق في السيرة، www.islamstory.com
- خصائص السيرة النبوية،. www.mawdoo3.com ،
- خصائص السيرة النبوية،. www.mawdoo3.com ،
- الطور جبل من جبال الجنة، علي جاد، www.alkhaleej.com
- مفهوم الخطاب الأسلامي،www.aluka.com